الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. طاهر مولاي - سعيدة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي

بعنوان:

المواقف النقدية حيال رواية الجازية والدراويش عبد الحميد بن هدروقة

* إعداد الطالبة

- بوعزة أحلام

* إشراف الدكتور:

- العربي الدين

السنة الجامعية: 1440هـ/1441هـ - 2019م/2020م

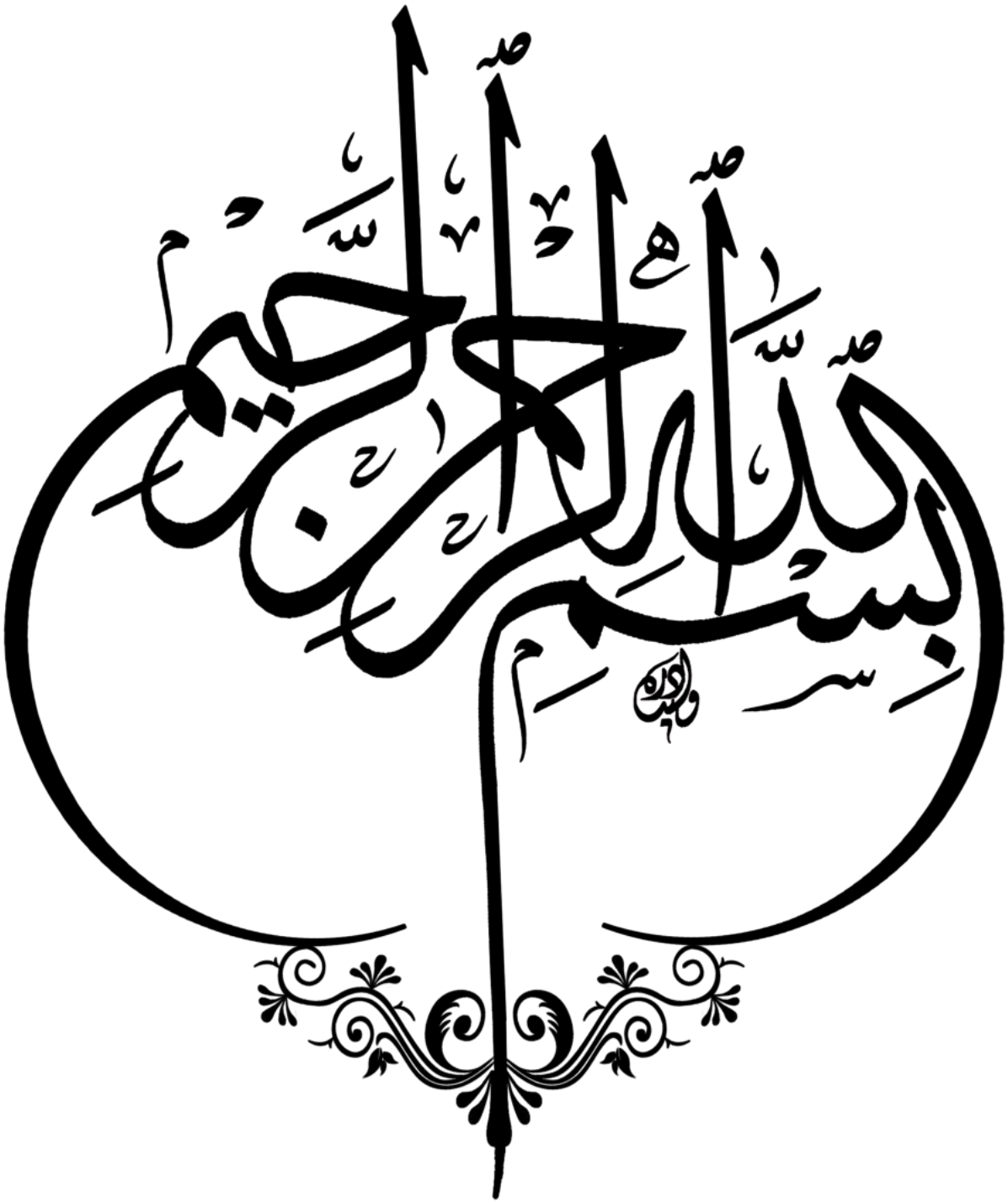
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفـــان

الحمد لله الذي به تتم الصالحات والصلاة على أشرف خلقه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

فالشكر الأول والأخير لله عزوجل الذي كرمني فأنار لي دربي وبفضله أتممت هذا العمل ، فالشكر لله والحمد لله كثيرا يليق بعظيم سلطانه .

ويطيب لي أيضا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل " العربي الدين " الذي بفضله وبعونه بعد مشيئة الله استطعت إنجاز هذا البحث .

فله مني فائق الاحترام راجية من الله تعالى أن يديمه عليه الصحة والعافية وأبقاه الله ذخرا للعلم والمتعلمين كما الأنسى وأخص بالذكر كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها .

والا يوقفني أن أشكر كل فكرة بناءة أسديت لهذا البحث لإتمامه سواء من قريب أو من بعيد .

ومن ثم الشكر أيضا لوالدي جزيل الشكر بفضلهم أنا هو .

إهـــــــداء

الحمد لله الذي وفقني لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله أما بعد:

أهدي هذا العمل إلى أغلى ما أملك أبي الوجود وأمي عبيدة العزيزة حفظهما الله وإلى أختي العزيزة نجوى.

التي ساعدتني كثيرا وإلى كل إخوتي كل باسمه: مختار، البشير، عبد الغني، وإلى كل العائلة وإلى الكتاكيت الصغار: فارس، أسامة، إياد، وإلى كل صديقاتي خاصة: ريم وإلى كل من ساعدني في هذا العمل من قريب أو بعيد وإلى الأستاذ المشرف العربي الدين.

وأتمنى أن يكون هذا العمل نافعا يستفيد منه الآخرين.

الفهرس

قائمة المحتويات

المحتوى	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
إهـــــداء	
الفـــهرس	
مقـــــدمة	أ –ب
الفصل الأول	
بطاقة قراءة للرواية	4
نبذة عن المؤلف	5
ملخص الرواية	9
الفصل الثاني	
موقف بعض النماذج النقدية حول رواية الجازية والدراويش	23
خاتمة	35
قائمة المصادر والمراجع	

مقدمة

مقدمة :

تعرضت الساحة الأدبية في الوطن العربي نتيجة الحروب لهزات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية عنيفة لكن استطاع ان يحدث قفزة نوعية على مستوى التحليل الروائي ما جعله يستقطب الكثير من الباحثين الدارسين.

ودراستنا هذه نتطرق فيها الى دراسة رواية جزائرية خاصة بأديبنا الجزائري الا وهي رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة ولا يحقن على احد قيمة هذا المبدع الجزائري يكفي انه مؤسس اول رواية (ريح الجنوب)فمن خلال المجموعة الفنية اتيتوا قدرة اللغة العربية على اشعاب الاجناس الادبية:

فبحثنا هذا قد تطرقنا فيه الى دراسة هذه الرواية الجازية والدراويش والموافق النقدية حيال هذه الرواية فتطرقنا الى الفصل الاول ونجد فيه بطاقة قراءة للكتاب وتحتوي على : العنوان،عدد الصفحات ،اسم المؤلف، حجم الكتاب،دار ومكان النشر والطبعة ، الوصف الخارجي للكتاب ،دلالة العنوان.

ثانيا : نبذة عن المؤلف (حياته ، الشخصية ،حياته الثقافية والروائية) .

الفصل الثاني:المعنون دراسة نماذج نقدية حول رواية الجازية والدروايش حيث اخذتا اراء بعض النقاد حول،فأخذنا موقف الناقد احمد السماوي في صراع الارادات على ازدواج بيت الطرفين الجازية والدراويش والتقيم الثنائي بينهما .

واخذنا موقف عبد الناصر مباركية من حيث التراث السردي للرواية وجماليات المكان وقد اخذنا ايضا موقف الناقد عثمان بيدي في محاولة تلمس فعل التقاليد الادبية حيث انه بين الجوانب البارزة على فترة الكاتب وجهد في البحث عن التميز ضمن التقاليد الادبية للرواية وقد سارت هذه لحظة وفق منهج انسب وهو دراسة الاراء

النقدية ل النقاد لهذه الرواية،قد افاد كثيروا واعطى الكثير من المعلومات والكثير من المناهج الالية (لا) لهذه الرواية .

فبحثي هذا قد واجهتني بعض الصعوبات التي اعاقت طريق البحث فقلة المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع خاصة لرواية.

وفي الختام اتقد بالشكر لله تعالى اولا والاستاذ الفاضل العربي دين على ارائه وتوجيهاته.كما اتقدم بخالص الشكر الى الاستاذ حميدي بالعباس والا ستاذ سنوسي خبراج،وللطمح ان يفتح لها هذا البحث المتواضع افاق واسعة للبحث في المواقف النقدية حيال رواية الجازية والدروايش.

الفصل الأول

بطاقة قراءة لرواية الجازية والدراويش

- اسم المؤلف : عبد الحميد بن هدروقة
- عنوان الكتاب : 199 صفحة
- حجم الكتاب : متوسط
- دار ومكان النشر والطبعة : طبع هذا الكتاب في جوان 2014 بمطابع دار القصبة للنشر حي سعيد حمدين رقم 16012.6 الجزائر .
- الوصف الخارجي للكتاب :جاء الكتاب بغلاف خارجي أبيض للواجهة الأمامية وغلاف أسود للواجهة الخلفية ، حيث أنه كتب على الواجهة الأمامية باسم الكاتب بخط عربي باللون الأخضر ثم جاء أسفله عنوان الرواية باللون الأسود ويليه الرسم السيميائي على شكل رجلين تتوسطها فتاة ترقص أحدهما يقرع طبل والآخر يزمر ، وجاء أسفله دار ومكان النشر وفي آخر الغلاف ذكر عنوان الرواية باللون الأصفر واسم الأديب باللون الأخضر وتعريفه ونبذة من الرواية وأسفله دار ومكان النشر باللون الأحمر .
- محتوى الرواية : جاءت متناوبة بين زمنين ، الزمن الأول والزمن الثاني في ثماني أجزاء ،تصدرها قبل ميلاد الزمن ،حيث أنها مكتوبة باللون الأسود غليظ .

-دلالة العنوان : يرمز العنوان إلى :الجازية ترمز إلى الوطن والدراويش يرمزون إلى العملاء اللذين تركتهم فرنسا بعد الاستقلال كما نقول باللغة العامية "الحركة" .

نبذة عن المؤلف :

ابن هدروقة وأعماله الروائية :

نشأته :

يعد عبد الحميد بن هدروقة من أهم الأدباء اللذين أبدعوا في الرواية الجزائرية من مواليد 09 يناير 1925 بقرية الحمراء التابعة للمنصورة بولاية برج بوعريريج [1]، ترعرع في عائلة مثقفة حيث أنها " اشتهرت بالعلم في كامل المنطقة حيث كان والده الذي تلقى العلم في جامعة القرويين بفاس المغرب فقيها ومعلما ، درس القرآن وأصول الفقه والأدب واللغة في مختلف قرى المنطقة لبن برج بوعريريج والمسيلة " [2] وكان لوالده الحظ العظيم في بدايات تعلمه حيث أخذ اللغة العربية وقواعدها على يده ، وتعلم اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية، ثم واصل دراسته في المدرسة الكتابية بقسنطينة[3] ، وفي عام 1949 سافر عبد الحميد ابن هدروقة إلى مرسيليا ، حيث تحصل عناك على شهادة الاخراج الإذاعي باللغة الفرنسية ، وشهادة تقنية في تحويل المواد البلاستيكية ورجع إلى المدرسة الكتانية ودرس فيها لمدة عام [4] . وبعد العودة من مرسيليا شر الرحال إلى تونس حيث مكث هناك أربع سنوات ونال خلالها شهادة

---

[1] أدباء في الذاكرة بوقفة فتيحة،دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع ط1،ص99

[2] السيرة الكاملة لعبد الحميد بن هدروقة،أنيس ابن هدروقة 2016،الموقع www.benhadrouga.com:

[3] ينظر:أعلام من الأدب الجزائري الحديث.الطيب ولد العروسي،دار الحكمة للنشر،الجزائر،2009،صدر هذا الكتاب بدعم من الوزارة الثقافة في غطاء الصندوق الوطني لترقية الفنون والأدب،ص152.

[4] المرجع نفسه ، ص152 .

العالمية في الأدب من جامعة الزيتونة بالإضافة إلى شهادة فن التمثيل العربي من معهد فنون الدراما في تونس [1].

أهم المناصب التي تقلدها :

- مدير المؤسسة الوطنية للكتاب
- رئيس المجلس الأعلى للثقافة
- عضو المجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيس[2]

زواجه :

تزوج أربع مرات فالأولى كانت في العشرين من عمره من إحدى قريباته التي توفيت مع وليدتها ، ثم زوجه والده بفتاة من القرية عندما كان طالبا في الزيتونة ، والثالثة من سيدة فرنسية ، أنجبت منها بنتا تعيش في فرنسا ، وأكمل حياته مع السيدة مليكة التي تزوجها سنة 1966 وأنجبت له ثلاثة أولاد هم : سامي ، ياسين ، أنيس .[3]

وفاته :

كانت وفاته بمثابة خسارة لأحد أهم الروائيين اللذين عرفتهم الجزائر في يوم الاثنين 21 أكتوبر 1996 ودفن بمقبرة العالية بالجزائر العاصمة .[4]

---

[1] أعلام من الأدب الجزائري الحديث،الطيب ولد العروسي ، ص152 .

[2] أدباء من الذاكرة بوقفة فتيحة ،ص99 .

[3] أعلام الأدب العربي المعاصر(ترجمة حقيقة) (50 شخصية أدبية) محمد الهواري،دار الكتب العلمية ، ط1،ص191-192-194 .

[4] المرجع نفسه ، ص196 .

مؤلفاته :

له مؤلفات شعرية ومسرحية وروائية عديدة ترجمت لعدة لغات أكسبته نشأته في الأوساط الريفية معرفة واسعة نفسية الفلاحين وحياتهم ما جسده في عدة روايات تناولتها الإذاعات العربية ، وقد كانت لها بصمة واضحة في الأدب الجزائري ومن بينها :

1 -الرواية :

- ريح الجنوب رواية صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1971 .
- نهاية الأمس رواية صدرت في الجزائر عن الشركة نفسها سنة 1975 .
- بان الصبح رواية صدرت في الجزائر عن الشركة نفسها سنة 1980 .
- الجازية والدراويش رواية صدرت في الجزائر عن الشركة نفسها سنة 1983 .
- غدا يوم جديد رواية صدرت في الجزائر سنة 1992 في بيروت عن دار أدب 1997 .[1]

2 -الشعر :

كان شعره يعالج الأوضاع التي عاشتها الجزائر أثناء الاستعمار والتغني بالثوار والمجاهدين وعن مرحلة الاستقلال ومن أهم أعماله الشعرية :

- الأرواح الشاغرة : ديوان شعر صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1952
- حامل الأزهار: ديوان شعر صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1952 .[2]

[1] ينظره أعلام من الأدب الجزائري الحديث ، الطيب ولد العروسي ، ص168-169-170 .
[2] المرجع نفسه ، ص168-169-170 .

3 القصة :

فيصنف ابن هدروقة ضمن كتاب اتجاه الواقعي لالتزامه بقضايا الوطن ونذكر:

- ظلال جزائرية (مجموعة قصص) نشرت في بيروت عن دار الحياة سنة 1996 .
- الأشعة السبعة (مجموعة قصص) صدر في تونس عن الشركة القومية للتوزيع والنشر سنة 1962 .
- قصص من الأدب العالمي ترجمها الكاتب واختارها من الأدب العالمي صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983 .
- النسر والعقاب (قصة لأطفال بألوان) صدرت في الجزائر عن الشركة نفسها سنة 1958 .
- قصة في ايركوتسك (مسرحية سوفيتية مترجمة) صدرت في الجزائر عن الشركة نفسها سنة 1968 .[1]

ولم يقتصر عبد الحميد ابن هدروقة على الرواية والشعر والقصص فقط بل كانت له بحوث ودراسات من بينها :

-الجزائر بين الأمس واليوم دراسة تحمل اسم وزارة الحكومة .

- دفاع عن فدائيين دراسة مترجمة عن عمل قبر جيس .
- أمثال جزائرية عن الجمعية الجزائرية للطفولة سنة 1993 .[2]

[1] المرجع نفسه ، ص168-169-170 .

[2] المرجع نفسه ، ص168-169-170 .

ملخص الرواية :

الجازية و الدراويش تدور أحداث رواية الجازية و الدراويش في دشرة جبلية يصعب الوصول إليها تدعى قرية الصفصاف حيث أنها تقع في قمة الجبل والطريق إليها وعرة إلا على الذين عاشوا فيها وألفوها و هي منعزلة وهي تتسم بعادات وتقاليد يتمسك بها أهل القرية ولا يستطيعون التخلي عنها، وكان في هذه القرية فتاة فائقة الجمال تدعى الجازية وكان هناك شخص اسمه الطيب ابن الجابلي ادخل السجن وكان معه في الزنزانة شاعرا، فكان يتأمل فيه و ظن أنه محظوظ حيث كان يحمل رقم الجامع الذي كان يقطن بالقرب منه ورقم الزنزانة ألا و هو رقم " 7" حيث هذا الأخير كان يسعى أيضا للفوز بـ الجازية ولقد كان كثير التذكر للجازية فكانت تقابله كتمثال ضخم يملأ الفضاء فكل شيء يذكره بها و تتضح صورتها أمام عينيه لكنه كان يقاوم ذلك لكي يتفادى الذكريات، حيث كان يتأمل الجدران و الرسوم و تقوم ذكريات في نفسه القرية و الصفصاف، العين و الفتيات، جامع السبعة و الدراويش والطالب، حاجب الأحمر و الجازية.

كان يتذكر أمه و أبيه، يتذكر منجل الدراويش، الشامبيط نعم الذي أتى إلى الدشرة مع المتطوعين و يتساءل عن سبب دخوله السجن بالرغم من أنه لم يفعل شيئا لم يقتل الطالب الأحمر الذي عثر على جثته أسفل عين المضيق.

دفعه مجهول وسقط على صخرة ولكن الشامبيط قد اتهمه بقتله حيث أن هذا الأخير كان يتميز بأفكار شريرة.

الذي كان يريد أيضا الزواج بالجازية، ولكن الطيب كان واثقا من أن القدر لا يكتب أبدا بعد وقوعه، كان يفكر بالجازية على أنها تحلم بمستقبل في أرض زمانها ماض مستمر ينبغي إغراق الماضي أو لا ينبغي إغراق الدراويش، إغراق القرية.

كان طيب يحاول أن يقتلع المشاعر التي كانت تعذبه اتجاه الجازية، نعم إنها الجازية الفتاة الخارقة فائقة الجمال مثل الحلم حسنها تيار متموج يهز القلوب فهي ابنة المجاهد بطل الثورة التحريرية الذي قتل بألف بندقية، وبعد هذا أرسلت الحكومة مجموعة من السنمائيين من بينهم الطلبة وابن الشامبيط الذي يقرأ في أمريكا الذين أرادوا أن يدرسوا أوضاع في القرية التي حاول الشامبيط ترحيل السكان منها فأقام العديد من الأساليب و الحجج لإقناعهم بالرحيل لكنهم رفضوا لأن القرية تعد من ماضيهم الذي لا يستطيعون الابتعاد عنه، حيث وأن الطالب الأحمر قال ذات يوم متحدثا عن السكان "أن رؤوسهم جد صغيرة لو وضعت فيها أفكار كبيرة انفجرت" وهنا اخبر الشامبيط ابنه بالجازية و طلب منه الزواج بها، لكي يتوج اسمه بهالة النور التي صنعتها بندقية أبيها ودماؤه، يريد مسح عار الشمبطة عن جبينه لكنها رفضته وأقسمت على أنها لو أرغمت أن تطلع إلى رأس الصفصاف وترمي بنفسها إلى الهاوية، لكن الشامبيط لم يرد إغضاب الجازية و الدشرة معا، وعبر للقرويين أنه لا يعارض الجماعة، وكله أمل أن تدرك الجازية أن ابنه ليس كالآخرين إنه يدرس في أمريكا، وقال على لسانه للجازية وأهل القرية، إنها إن واصلت رفضها واصلت شفاءها وشفاء الدشرة، وأن ابنه ينوي فعل الكثير ن أجل القرية، وهنا تأفف الناس رفضها علانية لكنهم فرحوا سرا.

ثم أطلقوا إشاعات تتصل بشرف الجازية، عسى ذلك أن يدفع ابن الشامبيط إلى الزهد فيها، حيث قالوا أنها تستضيف الرعاة في غفلة من مربيها، وقالوا أنها غير صالحة للزواج بل للتجربة و التسلية،ولكن كل هذا الكلام لم ينفع مع الشامبيط وقال لابنه بإمكانك أن تصبح سلطانا إذا اقترنت بالجازية.

وصلت أخبار الجازية إلى المعجر أخبار مزوقة مفظظة كأجنحة البراق، هام بها كل من أحس في عروقه بقية من قوة، ومن هؤلاء عايد و هو شاب مثقف ذو عزم عاشق بالمهجر منذ الطفولة أبوه صديق حميم لأخضر ابن الجابلي أبي الطيب السجين. قد نما عايد وترعرع في نفسه حب القرية التي حدثه أبوه عنها أحاديث عذبة رقراقة وصلت إلى مستوى الأساطير، وذات ليلة و الموت يقترب منه أبيه ترك له وصية وهي القرية وهنا أقسم عايد لأبيه أن يعود إلى هذه القرية وقد شاعت أخبار الجازية وشاع معها ما وقع في الدشرة من أحداث فكل سمع بمقتل الطالب الأحمر وسمعوا بسجن الطيب بن الأخضر الجابلي، سمعوا باعتزام الشامبيط خطبة الجازية لابنه الذي يقرأ بأمريكا. ولكنهم لم يسمعوا الأخبار بخلفياتها الحقيقية فقد سمعوا أن طالبا مدروشا ذهب إلى هذه القرية وراقص الجازية خطيبة الطيب فقتله هذا انتقاما لشرفه ومن ثم خلا الجو للشامبيط.

وهكذا حزنوا على أن يعود الشامبيط للشمبطة ويطفو له الجو، ولهذا تأهب عايد للرجوع في وقت لم يحدده من قبل، وقد طغت أخبار الجازية على أرض المهجر وقد راودته عدة أفكار منها لو لم تكن الجازية قابلة لهذا الزواج لن يتقدم لها الشامبيط خطبتها لابنه، فجاء إلى الوطن بسيارة فخمة ضخمة، استكبرها فيه الناس فانتهت به الطريق المعبدة في سفح الجبل، واضطر للرجوع إلى القرية وتركها في أحد المستودعات، اشتم الشامبيط الخبر واشتم رائحة طمعه فيه الجازية ولكنه لم يكن يعلم أن أباه صديق مقرب للأخضر ابن الجابلي ولما رآه مصمما على بلوغ القرية نصحه أن لا يحمل معه أي شيء لأنه لا يستطيع أن يقضي بها أكثر من ليلة، فترك عايد أمتعته وسيارته بالقرية السهلية المركزية وصعد راجلا إلى الجبل وكان كلما صعد زادت القرية ارتفاعا فشعر بالتعب فرأى مكانا ظليلا جلس ليشرب ويدخن سيجارة ثم يواصل مشيه وقد كان أحد الرعاة يترصده وعندما رآه جلس قاد قطيعه متجها نحوه،

فصعد هو وقطيعه عبر الممر الضيق حتى كاد عايد أن يسقط لو لم يتمسك بعرق الشجرة فتأمل عايد بنظرة غاضبة وبعد ذلك فكر أن غضبه ليس في محله فالراعي لا يفهم مثله مثل أكباشه فنفض ملابسه وعاد إلى مكانه فقابله الراعي وجلس قربه، فسأله قائلا هل أنت من دشرة السبعة فأومأ الراعي برأسه مثبتا فتعرف عايد على راعي السبعة " الكباش الذكور" وحاول معرفة القصة منه فناوله سيجارة وبدأ يستفسر منه ما حدث في الدشرة، نعم وهذا ما حصل فحكى الراعي لـ عايد القصة على طريقته و كيف جاء الطالب الأحمر إلى القرية ومحاولته اختطاف الجازية وقتل الطيب له الذي هو خطيب الجازية ودخوله السجن، لكنه لم يكمل له القصة وبدأ يتهرب من هذا الموضوع، لكن عايد حاول العودة إلى الموضوع لكن الراعي أجابه بقوله أنت ذاهب إلى الأخضر الجابلي وسوف يحكي لك القصة كاملة فعاد يسأله عن الجازية وأبوها لكن إجابة الراعي لم تحقق له ما كان يصبوا إليه والى معرفته عن الجازية، كانت أسئلة كثيرة تراود عايد كان يريد أن يعرف قصة الجازية والطالب الذي قتل والطيب المسجون، والشامبيط وابنه أياء كثيرة غامضة، لكن الراعي كان يتحاشى الحديث عنها فأنهى عايد أسئلته لأنه لا وجدوى مع الراعي، فدخنا آخر سيجارة وافترقا كل واحد ذهب في طريقه، فمضى عايد في طريقه وهو ينظر إلى السهول إلى الصفصاف إلى العين كلها مازالت تحيا طفولتها، فجلس قرب العين حتى أتت مجموعة من النساء إنه وقت السقي، وذا بعينيه تقعان على فتاة حسنها فاض عليها كالنور وملأ المكان، فخفق قلبه وظن أنها جازية فلم يستطع أن يواصل مشيه إلى الدشرة فرجلاه تتقدمان في اتجاه الدشرة وقلبه يتأخر في اتجاه العين وعرف أن هذا عيب لأن أباه حدثه عن تقاليد الدشرة فالرجل لا يلتفت إلى المرأة واصل عايد مشيه إلى الدشرة وهو يحس بسعادة ممتعة في ذاته وأن كان أتعابه المرهقة في الصعود إلى الدشرة زالت، وصل عايد إلى جامع السبعة حيث هناك ملتقى سكان

كانوا يلعبون لعبة الفلجة وكان بالقرب منه شيخ كبير كان يخيط برنوسا فصافحهم عايد واحدا واحدا ثم جلس بالقرب من ذلك الشخص سأله: أظنك من المهجر؟ أجابه عايد: نعم متعرف عليه و عرف إنه ابن صديقه المنفى فقبله واحتضنه فبادله عايد نفس الشيء وأخبره أنه هو الأخضر ابن الجابلي صاحب والده السائح بو لمحاين فجمع الأخضر ابن الجبلي برناسه وأدوات الخياطة وأخذه الى منزله وعرفه على عائلته وسرد له قصة أبيه و زوجته وقصة صداقتهما فذبح له خروف و قطعه لإعداد العشاء فطلبت زوجته منه أن يدعوه لشرب القهوة بينما تعد العشاء (فألقت التحية) لكنه لم يرى ابنته الحجلية فقالت الأم: أنها خجلت ونادتها فأقبلت مطأطأة رأسها، فكان عايد منفعلا لرأيتها وظن أنها الجازية ولها اسمان فتقدمت إليه الفتاة تقبله على وجهه فإن لم تكن هي الجازية نفسها فإنها جازية أخرى، فجلست بجانب أمها قبال عايد ينظر إليها مرة يراه تنظر إليه كأنها تناديه وهو يتساءل في نفسه هل إنها الجازية أو إنها الجازية بجمالها؟

ففي صباح اليوم التالي، خرج الأخضر ابن الجابلي رفقة عايد إلى البساتين والسهول ولكنه ما زال شاردا في أفكاره و تساؤلاته، فسرد له الأخضر الجابلي قصة الشامبيط الذي همه أقناع السكان بالانتقال للقرية الجديدة عندما يتم بناؤها لتتمكن الشركة من بناء السد وإغراء السكان بكل الوسائل للانتقال بأسرع وقت، وقصة ابنه الذي قرأ في آخر الدنيا (أمريكا) حيث رفض أهل القرية بناء هذا السد على أنه سوف يكون هاوية ضخمة قرارها الجفاف لأن السد هو الطريق الوحيد المؤدي للدشرة حيث الجامع جامع السبعة، نعم جامع مدفون به سبعة أولياء لهم من يخلفهم بالعبارة المتداولة " سبعة يغباو، وسبعة ينباو " وقصة الدراويش إذ لا يحدث حادث بالدشرة دون أن يشاركوا فيه، وقصة الجازية التي هزت الدشرة وقصة الطلبة الذين أتت بهم الحكومة، فهم أحرار يفعلون ما يريدون، فهذا ما ورد عن الحكومة، فقامت بتوزيعهم

على أهالي الدشرة وعن مقتل الطالب الأحمر وعن رغبته التي كانت بالارتباط بالجازية ورفضها له.

وبعد هذا قرر أهل القرية إقامة زردة تكريما لأجلهم فاستحسن الأحمر إقامة الدشرة للزردة، فهنا أحس الطيب أن شيئا يتهيأ حدوثه فامتزجت مشاعره بعواطف خوف و حيرة.

فسار الأخضر الجابلي بدعوة الطلبة للعشاء ففي نظر الطيب أنه عندما تقام زردة بدون مناسبة تقليدية تدعو لإقامتها تشكل ظاهرة اجتماعية رغم الخرافات والأساطير حيث تزول كل الحواجز فيها و يختلط فيها أهل القرية بفتيانها وفتياتها المحجبات وفي اعتقادهم أن تلك الأضرحة السبعة فيها بركة فهي تولد العواقم وتزوج العوانس، وأن من جاء إلى السبعة بنية سيئة لن ينجو من نقصة أوليائها، وكثيرا ما تحقق ظنهم، لكن بأسباب خارجة عن الأولياء، فهذه الزردة تعتبر تكريما للطلبة فسوف يرون فتيات ربما لم يتمكنوا من رأيتهم في الظروف العادية فذبحوا فيها ثورا أبقع وضع دمه في قدح أضيف له ملح ترك ليتجمد ويقرأ فيه ما يحدث في المستقبل، وقد كانت الحفلة جد عادية فتخللها بعض الحكايات حيث أن شاب حكى لهم عن قصة تتعلق بالزردة حيث أنه سأل أحد الرعاة عن ماهية الزردة فأجابه أنها أكباش تذبح، ومناجل تضج، وزرنة وبنادير تصح، ففيها صفقات تعقد، وأموال تعد، و دعوة من الصالحين لأبناء المدينة المتطوعين.

لكن صافية لم تتعش معهم فقال أبي: مكانك مع النساء وقال: لها أن حجلية ستكون رفيقتها في التنقل في الدشرة على حياتهن و تكتشفين كل ما تريدين لكن الطالب الأحمر لم يعجبه الأمر و رد نحن لن نأتي لنتعلم حياة القرويين ونحن جئنا لنقوم بمهمة ونحن من يحددها.

فردت صافية أن كلام الأخضر معقول فلم يستسلم الأحمر وواصل موقفه بالرفض واستهزأ بصافية من مظهرها على أنه سخطا لأهل الدشرة فأجابه الأخضر مستهزأ أهل الدشرة متعودون على ألا يسخطهم إلا ما فعلته أيديهم و الكلمة الأخيرة تعود لرفيقتكم (صافية)، وهنا كان رأي أبي أن أتزوج بالجازية لكني رفضت الفكرة، فالجازية كانت جميلة مثل الحلم فنورها كان ينير المكان ولقد كان القرويون يردون الزواج بها، لكن أبي أوضح لي أنه يجب علي بناء مستقبلي فأنا على وشك إتمام دراستي والناس في هذه الدشرة كلهم ينتظرون هذا الزواج و الخطاب كثرون والشامبيط يجري ليلا نهارا خطبتها لابنه الذي يدرس في أمريكا و كل مشاريعه يدخل في برنامج متعلق بالجازية ولو أنه نجح لضاع كل شيء وأصبح جهاد المجاهدين عبثا، فحاولت أن أفهمه أني لا أفكر في الزواج وأن الجازية ترفضني كما رفضت الآخرين لكن أبي كان على ثقة بأن الجازية سوف تقبل، فأردت التفكير في الموضوع، لكن أبي صمم على أن الزواج من الجازية شيء لابد منه لأنه مسؤولية نحونا ونحو الدشرة فغلق آماله علي وأن الزواج بالجازية هو الخطوة الأولى و زاد تحفيزي أكثر حول رغبة الشامبيط تزويج ابنه منها.

فاتفقت أنا وأختي الحجلية أن أتعرف على الجازية مباشرة فقد برت أختي الموضوع حتى قبلت العجوز عائشة وسمحت لنا باللقاء في بيتها لقاء مشروع وشريف، فالتقيت بالجازية كم هي جميلة جمالا تجلى في ابداع مكنوناته.

فأصبت بالذهول من جمالها، فحجلية هي من تكلمت في الموضوع فتنهدت الجازية وقبلت بي زوجا لها لكنها كانت تخشى علي من دسائس الآخرين الذين يريدونها فهم عبارة عن تجار وسماسرة، فتملكني خجل أشبه بالخوف لكن الجازية واصلت كلامها بأن مأساتها لن تنتهي على ما ورد عن العجوز أنها لن تتزوج زواجا حلالا وأنها سوف تتزوج زواجا يشهده كل دراويش الدنيا، فسرحت أشاهدها في

صمت و تمعن حتى أختي لاحظت ذلك وسألتني فأجبتها فلنغادر المكان في الحال و نأجل الأمر إلى فرصة أخرى، فخرجنا متجهين نحو المضيق المؤدي لبيتنا فتصادفنا مع راعي الأكباش السبعة فقهقه قهقهة عالية وانطلق جاريا مع الطريق فواصلنا مسيرنا.

نشطت الحياة في الدشرة منذ وصول المتطوعين، فكثر بين نسائها التواصل وقصص عن المتطوعين، فكانت فتيات القرية معجبات بهم وبأوصافهم و خاصة الطالب الأحمر فوصفوه أن وجهه كالقمر وطويل كالصفصاف وكثرت الحكايات حولهم وحتى على صافية، فكان إمام القرية في كل مجلس يصف لبس صافية وكيفية تدخينها ويألف قصص من نسج الخيال عنها، وأن المعلمين في المدينة يرسلون بناتهم للقرية للإخصاب بمعنى أن أبوها سمح لها بالتنقل مع ست شبان بعيدا دون الاكتراث لأمرها وهي عند أهل البادية غير لائق، ففتاة مع مجموعة من الشبان هذا لا يجوز.

ومن كثرة التحدث عنها صار يشعر بالحنان نحوها وفي أعماقه تمنى لو سمحت له ظروف الدشرة وتقاليدها لأخذ الفتاة (الضليله) الطالبة إلى مكان ظليل يعرفه تغطيه أشجار البلوط ويهبها من عروقه ماء الحياة و المخصبات و المحزن أنه لا يستطيع، فأصبت بالأرق لكثرة التفكير فيها وفي صورتها الأنثوية حتى صار يراها في أحلامه، ولكنه كان يرى سيفا يقطع عضوه التناسلي فيفيق من حلمه مضعورا صارخا، فتستيقظ زوجته خائفة مضطربة فيستغفر وينعل إبليس و الطالبة المتطوعة التي تبرز ملامح أنوثتها، ولا يصدق زوجته في الجواب، ويقوم بعدها يقوم تكفيرا عن أحلامه المذنبة. فأقاموا الزردة، فدوت البنادير وعلى صوت الزرنة وصيحات الدراويش أجلست النساء في جهة و الرجال في جهة مقابلة وأجلس الطلبة المتطوعون معهم صافية في صدر الساحة مع الشامبيط وأعيان القرية و الدراويش

والإمام، ففي البداية كانت الحفلة عادية ورقص فلكلوري متشارك من طرف الدراويش وبعض القرويين والطلبة، وعندما شرع في تحمية المناجل أخذ الجو يتكهرب ووجوه الدراويش تكفهر، فعندما كانت تحمى المناجل حتى تصير بيضاء، لكن الدراويش يعرفون كيف يلمسونها ويلعقونها بألسنتهم، عاد كل الطلبة من الرقص إلى أماكنهم ماعدا الأحمر، فازددن النساء حماسا وهو يرقص، الشامبيط لم يأبى بذلك بل راح يصفق حتى صار حدث عظيم، جاءت الجازية جاءت إلى الحضرة ملثمة، لكن نورها لم يحجبه اللثام فنورها تيار متموج وفاض جمالها على الساحة، فاندهش الناس وعلت صيحات الدراويش وطلبوا المناجل وزادت الطبيعة أن تشارك الجو فانطلق الرعد و البرق مع صيحات الدراويش، فالجو تجاوز الواقع إلى اللاواقع الرعود، البروق، الزرنة، البنادير، الدراويش، المناجل، رقص الطالب الأحمر وحضور الجازية مع صيحات الدراويش فواصلوا الرقص حتى طلب أحد الدراويش منجلا أبيضا من وهج النار وقدمه للأحمر فلعق الأحمر المنجل ثم لعقه ثم لعقه، واشتد العزف و الرقص وازداد وطيس الحضرة التهابا وتكهربا، فكانت كل الأنظار مصوبة نحو الأحمر وهو يتجه نحو الجازية يشق صفوف النساء ومد يده إليها، فلم يرق ذلك للأخضر بن الجابلي فأخذ بندقيته فمسكه الشمبيط ونصحه أعيان الدشرة بالتريث فأعاد البندقية لمكانها فقامت الجازية ولم تمانع، فجرها إلى الرحبة وحاول أن ينزع اللثام عن وجهها لكنها منعته، وقدم لها نجلا فلعقته وأخذا يراقصان بعضهما فعجب الجميع لأمرها حتى راعي السبعة، ورمى عصاه ودخل يرقص وأخذ منجلين يلعقهما ويرقص والأحمر يرقص و الجازية ترقص.

واشتد العزف واشتد قصف الرعد و صيحات الدراويش فبلغت الدهشة أقصاها لدى القرويين، فازداد حماس الجازية والأحمر رقصهما يتخذ حركات غريبة بانهمار المطر والبرد، فلاذ الجميع يحتمون بالجامع من المطر و البرد فاختلط الحابل بالنابل

وعلت الصراخات و النداءات فالفلائح و الغلال قضت عليها العاصفة فكل شيء سيجره السيل الى الهاوية، لاشك أن الأولياء عضوا على الدشرة التي قبلت الاهانة من غريب.

ثم براقص الجازية و يلعق المناجل في عقر حرم السبعة فراح الطيب يبحث عن الأحمر لكنه لم يجد له أثر فعاد إلى البيت وحده وهو يفكر كيف يشرح لأمه الموقف فوجد صافية وأمه وحجلية تعاليقهن تدين سلوك الأحمر وأن ما حدث بسببه على إهانته للدراويش والأولياء ولكن ما كان يدهشني مجيء الجازية و رقصها معه.

وفي اليوم الموالي وجد الطالب الأحمر ميتا في إحدى المنحدرات الجبلية حيث ظن الجميع أنه عند انتهاء الزردة وعند عودته مع الطيب الى البيت قام هو بدفعه دفاعا عن شرفه فهنا بدأ عايد التحليل في قضية مقتل الطالب، ويفكر ويشرد في أماكن عديدة، حتى ذات يوم و هو مستلق على العشب حتى وجد الراعي عند رأسه فلم ينتبه لخطواته لكثرة شروده في مقتل الطالب الأحمر.

و خاطب عايد صاخرا: احلف أنك لم تشعر بمجيء فقد كنت أراقبك منذ مدة وأنت تنتظر السماء وتتحدث وحدك، فخاطبه عايد: هل تتجسس علي؟ فرد: لماذا أتجسس؟ هل عندك شيء يخفى؟ الناس كلهم يعلمون وكل ما عندك معروف، استوى عايد جالسا وهو ينظر للراعي ويتعجب ! من أمر الراعي ودخن السيجارة، وأعطى للراعي واحدة، وإذا أحرقه الدخان فراح يسعل، إذ أنه لا يحسن التدخين، وبدأ يسأل في عايد كأنه يحمل أخبارا جديدة، فخاطبه عايد: أكيد أن هناك أخبارا جديدة فأجابه: نعم إنه ابن الشامبيط عاد من أمريكا وسوف يتزوج بالجازية، فصدم عايد لكنه أظهر اللامبالاة بالخبر، وعاتب الراعي باتهامه بذكر الجازية أمامه، وطلب عدم التحدث عنها مرة ثانية، فتأهب الراعي للمغادرة فاستوقفه عايد مستسمحا وحاول

كل منهما فاستدراج الآخر في الكلام، وعادوا مجددا لموضوع الجازية، وزواجها من ابن الشامبيط، فعند استدراج عايد للراعي بالكلام أحس أنه يحب الجازية وأنه يعاني آلام مبرحة من الغيرة، لم يستطع الراعي مقاومة نظرات عايد فلاذ بالمشي، وأيضا عايد تبعه ذاهبا، الطريق ضيق وملتوي يصعب الهبوط معه.

بدأ عايد الهبوط ويفكر كيف للطيب و الطالب الأحمر أن يتشاجر وأن يدفع كلاهما الآخر دون وقوعهما الاثنين فالطريق لا تكفي الاثنين أو حتى واحد، فهبط وحاول أن يتلهى بالمناظر الطبيعية ويتناسى التدخين لأنها نفذت، وحاول بعدها العودة للدشرة، ولكن الصعود أعاد لذهنه فكرة مفاتحة ابن الجابلي في موضوع الجازية، وربما الكشف عن ما يراود نفسه بشأن مقتل الطالب وأن الطالب لم يقتل من طرف الطيب، بل من طرف الراعي، وأنه أيضا جاء من أجل الجازية، وعدم علمه بخطبتها من طرف الطيب ولكنه يعود مرة ثانية ويذكر حجلية ومشاعره المتقلبة نحوها تارة يذكر الطيب السجين الذي حكم عليه 7 سنوات مع التنفيذ الفوري، وبعد كل هذه الأحداث قامت صافية بزيارة الطيب في السجن، مما أعاد إليه الحياة والأمل وأخبرها عما تركه الطالب الأحمر قبل موته، بأن السد و الأرض غير صالحين لبناء القرية الجديدة فهي تتعرض لهزات عنيفة، لكن ليت الأمر انتهى عند ذلك، لكن الشامبيط يريد أن يعيد الدنيا للوراء ويزوج ابنه بالجازية ولو بالقوة، إذ لم ينجح بالحسنى، فأراد أن يقيم زردة الخميس المقبل، وسيحضر هو وابنه الزردة، فهو يريد الوصول المقصودة فإن لم تكفيهم هذه الزردة فلهم زردة من جديد فساد حزن شديد على عايد لعدم قدرته على الزواج منها أو حتى رأيتها فهو جاء من آخر الدنيا ولم يستطع أن يفعل شيء، فهو يريد أن يراها وتبقى صورتها في ذاكرته حتى الممات، فلتقف مع أحد الدراويش ووافق على مساعدته لرأيتها فرسم خطة مع الدرويش،

وبعدها كل ذهب في طريقة، لكن عايد بقى يفكر: هل كلام الدرويش صحيح؟ وهل سيساعده حقا؟

فكان أهل الدشرة يتنسمون أخبار الزردة على أنها ليست كسائر الزردات، وليتمكن ابن الشامبيط من رؤية الجازية، إن هذه الزردة ستكون حاسمة في حياة الدشرة، وكثرة الرهانات على الجازية، على أنها لن تحضر والبعض الآخر قال إنها ستحضر، وفي اليوم الموعود بدأت التحضيرات وبدأ دوي الطبول وألحان المزامير، لكن الشامبيط لم يأتي وتأخر ابنه، ففي الواقع هو صاحب الهدى، مر الوقت ولم يحضر أي منهما وحتى الجازية كذلك، وظن أهل الدشرة أن الشامبيط ذهب الى الجازية عند علمه عدم حضورها، الحيرة تزداد والجو يتكهرب فأتت مربية الجازية ومعها فتاة ملثمة، لكن لم تكن معروفة، الحضرة بلغت أوجها واكفهر الجو تماما وأحميت المناجل، الدراويش يتصارخون و الطبول تزداد دويا، وعايد يرقص رقصات الدراويش، ويرمون عماماتهم ويرقصون، أفواههم تزيد رغوا كرغو الصابون حتى نهضت الفتاة الملثمة ترقص نعم كانت حجلية غير خائفة من أبيها الذي لم يكن هناك في الحفل، وفجأة يقبل راعي السبعة مستصرخا بأعلى صوته الشامبيط مات، وأرسلني الأخضر بن الجابلي للمساعدة، توقفت الحضرة وساد الهرج و المرج بشكل غريب، لحظات ذهول وتساؤل وحيرة، لكن عايد قفزت في ذاكرته صورة قطيع الأكباش والراعي ومن وراء موت الشامبيط، رغم أنه كان معروفا ومحبوبا كانت عنده أحلام زرقاء، وكان الكل يحتاجونه بالإضافة إلى أن ابنه يدرس في أمريكا، و محل ثقة أرباب المصالح في الداخل والخارج، فكل هذه الصفات ومات؟ فهو لم يكن لديه طموح بخطبة الجازية، بل نصحه أصحاب النصح أن عندما يتزوج ابنه من الجازية، سوف يغسل ماضيه وسوف يصبح أحفاده أكبر فاعل للتاريخ، لكن عايد حلل وتوصل في الأخير إلى أن الجازية لم تحضر الحضرة، بسبب الأخضر الجابلي الذي جاءها فجرا وأخذها إلى

بيته مع مربيتها عائشة وهو راح لكي يصطاد في المنحدر الذي وقع فيه الشامبيط حيث هرعت بغلة الشامبيط عند سماعها لصوت البارود الذي أطلق على الحمامتين من قبل الأخضر.

فقدت البغلة توازنها هي وراكبها، رأى الأخضر وابن الشامبيط أباه متدحرجا إلى الأسفل حتى ارتطم بالحجر، فتمزقت أوصاله، ولم يستطع الأخضر النزول للمكان ولا حتى الراعي لانتشال الجثة لكن كان المنحدر وعرا، فهنا طلب الأخضر من الراعي الذهاب وإحضار المساعدة، قرر أهل الدشرة أن يقيم العزاء في الدشرة، فالميت يستحق الرحمة، فهذه هي الكلمات التي علق بها الناس.

وفي الأخير كانت الصدمة لـ عايد أن الأخضر نادى أهل الدار فخرجت حجلية ورأتها العجوز عائشة، فنطق الأخضر: أين الجازية؟ صعق العايد الجازية، خرجت كالنور لم يستطع تثبيت نظره فيها فحسنها أقوى فعرفهم على عايد، وخاطب الجازية بلهجة الخاطب أن عايدا راغبا فيك. حجلية لم برقها الأمر فرفضت الجازية، فقال عايد: أن الجازية حلم والأحلام لا تتحقق و في الأخير قرر عايد أن يخطب حجلية وطلبها من أبيها.

وانتهت الرواية بالزغاريد، وكان الجو مأثرا عززها الأخضر بطلقتين من بندقيته معلنا للملأ أن هذا البيت يعيش حدثا عظيما.

الفصل الثاني

موقف بعض النماذج النقدية حول رواية "جازية والدراويش"[1]

1 –موقف الناقد : أحمد السماوي : صراع الإرادات

تقوم رواية الجازية والدراويش على ازدواج كرفين ، الجازية من ناحية والدراويش من الناحية الأخرى ، حيث ينبه القارئ عتبة النص الأولى لتلقي كلم الروائي متفرغ ثنائيا .

حيث أن العنوان يفتح أفق انتظار لقارئ الرواية ، وتنبيهه لوجود تفرع ثنائي ، والعلاقة بين الجازية والدراويش ، أهي علاقة صراع أم وئام ، حيث أن لا ينبغي ان تكون علاقة ازدواج بين الشخصيات لتظل الأسئلة تلّح على القارئ فلا يبرح النص ، وتجد لها جواب

فيفاجئ القارئ بسرعة توقعاته بأن صورة الدراويش سلبية ، فهم يساعدون على الظلم ، وكذلك الشامبيط ، وأن الجازية هي العنوان المرغوب فيه ، والشامبيط والدراويش العنوان المنبوذ ، فهنا يتأكد التفرغ الثنائي في العنوان (الجازية والدراويش) المحور الأساسي في الرواية ،فهذا التقسيم الثنائي بسيط ومن ثم اعتباطيا ، فخفف الراوي من حدته .

فهذا التفرغ يقف من الصراع بين الماضي والمستقبل وبين التقدم والتخلف ، موقف المتشكك الطيب : لماذا لا أكون أنا الماضي الذي يزعزع أحلام الفاجرين والغاوين ؟

فيعمل على كسر الحلقة المفرغة ،فالرواية لم تعبر عن أنصار الماضي والمستقبل ، بل مجرد إتحاد .

---

[1] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ، ص5وص36 .

وقد قسمت الرواية لزمنين ما قبل ميلاد الزمن ومع ميلاد الزمن ،فقد أشار الراوي إلى أن الراعي قد أخذ يعزف في لحن قديم جاء من أقصى الزمان ...

فهنا يلذ القارئ أن يساير التفرع الثنائي التبسيطي ، لكنه يصدم بواقع مركب فهنا الراوي يستدعي المروي له لطرح أسئلة مع تقديمه في تلقي الرواية ، لا يجيبه حتما عنها ، فيحل الأشكال بطريقته الخاصة فلا الطيب يتزوج بالجازية ولا الجازية تتزوج عاديا .

ورغم كل هذا يظل السؤال قائما ومطروح لدا القارئ ، فالرواية تلفت الانتباه إلى فكرة مركزية لهذا التفرغ الثنائي في مستوى : العنوان ، الزمان ، العلاقة بين الشخصيات ، الصراع المتحكم ، رأي العالم .[1]

بين الراويين :

قيام الرواية على راويين اثنين مختلفين إحداهما في الحكاية غير متضمن فيها ، فالأول الطيب مشارك في الأحداث و الثاني مجهول الهوية .

فموقعهما في المستويات السردية غير ممكن ، إذ ليس بالإمكان إحالة الراوي الأول الطيب على السرد من الدرجة الأولى ، والراوي الثاني على السرد من الدرجة الثانية ، لأن الثاني غير مدين للأول بإعطاء الكلمة ، فهذا الصنيع تكريس في مستوى السرد في : العنوان ، المقدمة ، من الصراع بين الطرفين ، وفي مستوى الفعل ، فالأول يستعمل الضمير المتكلم فهو شخصية في الرواية ، الثاني يستعمل الضمير الغائب أي مجهول ، وتظل المحافظة على ترتيب الرواية و تسلسلها من دون أن تخص الراوي ، ووجود تعادل بين الراويين في الفصول

[1] الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدروقة ، ص5وص36 .

يعزز التنافس المشار إليه ، وهو ما ينسجم مع مفهوم كسر النسق التبسيطي في رؤية الشخصيات .

ما يختلف فيه الراوي عن الآخر نمط التنئير فبناء التغوير (Abymemise en) يجعل الراويين على قدر واحد من المعرفة بالأحداث ألا وهو توسع ومزيد من التفصيل فالحدث يروى مرارا رغم كونه لم يقع إلا مرة واحدة (Récit répétitie) مثل : مجيء الطلبة للقرية فقد تعدد ذكره في الرواية تنبيها لقيمة مجيء هؤلاء الطلبة . ونذكر في أيضا علاقة بين الروايين يتناوبان على أخذ الكلمة في الزمنين : واحد هو حاضر القول وهو زمن السجن بالنسبة للطيب والثاني مجهول الهوية خارجا وزمن السجن هذا أو الآن [1] يرتد منه الراويان كلاهما ليحكيا ما حدث بين قدوم الطلبة وعودة عايد ، الجازية والدراويش [2]، ثم جاء الطلبة لكن الطلبة لم يكن يهمهم انتقال السكان من قرية لأخرى ، بقدر ما كان يهمهم انتقالهم من الماضي إلى المستقبل" ففي نظرهم انتقال السكان إلى قرية يسهل اتصالهم بغيرهم " .

...بعطف ، ورجوع ابن الشامبيط وقد استغرق ذلك سنوات كما تأكده حجيلة العايد "كانت عندنا فتاة طالبة متطوعة في السنوات الماضية اسمها صافية تدخن 102 : فبينت القصة لبدايتها بقدوم الطلبة من العاصمة ، وعايد من المهجر وابن الشامبيط من أمريكا ولنهايتها بالسجن ، فالقرية التي جاء منها هؤلاء جميعا لتحويلها من مكانها ، ببناء قرية في أرض الشامبيط أو بناء قرية في السهل كما يحلم الأحمر والطلبة ، فأبت كل الأبياء أن تتزحزح عن مكانها فلا استمرار لابن الشامبيط في مشروعه بعد موت أبيه ولا الطلبة أقنعوا الأهالي بالتحول ، فكل هذا رسالة تبغي الرواية إيصالها ، والإجابة عن ذلك يساعد في كشفه طابع الرواية المزدوج الرمزي .

[1] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ، ص96.

[2] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ، ص54.

الأسطوري في الرواية :

ففي الجازية والدراويش حضور الأبعاد التفسيرية الأسطورية ، وعندما ندخل على الرواية بنص روائي تشقه الثنائيات فسعي إلى إعادة إنتاج الأسطورة وأبرز ما عنده تلتقى الرواية والأسطورة . الإلغاء في الزمن القديم فتكلم على " ما قبل ميلاد الزمن" "ومع ميلاد الزمن" وهذا لزمن شبيه بزمن الأسطورة كما يقول **بيار سميث Pierre smith**[1] : تحيل على الزمن الأولي، تعود باستمرار كما لو كان لاحما للأزمنة الحاضرة ،والشخصيات التي أعلن عنها التقديم والتي ولدت مع الزمن ، ومع بداية القصة هي الجازية والدراويش السبعة ، الرعاة ،الشامبيط [2]، إن الرواية في التقديم بقصرها ذكر الشخصيات الخمسة انتقت وأسرت على خلق عالم سحري يعايش فيه الشامبيط الجازية وهي في سن ابنه ، كما يستفاد من متن الرواية ، فهناك تمزح الأحمر بنسبة الجازية إلى جدتها الأأولى الكاهنة وجدها القريب صاحب الحمار [3] ، وهنا لا يمزح بل يضفي بعدا أسطوريا على الجازية ، بإلحاقها بزمن بعيد مغرق في القدم ، زمن الجازية الهلالية فجعلتها عنوان الجمال كما هو شأن الجازية في الرواية " كم هي جميلة الجازية " [4] فهنا رجعنا إلى التراث الشعبي وسيرة بني هلال في إفريقيا وبلاد المغرب في تقديس جمال الجازية الهلالية فهنا يزيد أمر الأسطورة وضوحا فهناك أمكنة متعددة وثمة القرية الجبلية والقرية السهلية وثمة الدشرة ومسجد السبعة والصفصاف وعين المذيق زهنا تأطر على زمن البدايات وهو زمن الأثير للأسطورة ، فعندنا يصف

[1] Pierre smith ,art , myth,a,approche ,mniversliq, France,s ,a, 1985 .corpus 12 p880

[2] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ،ص5

[3] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ، ص59

[4] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ، ص70

الطيب وجه الجازية : صار جليدا بلوريا ترى من خلاله كل الجزيئات والدقائق الداخلية[1] فهنا يتضح أنه يخرج من مقام الإنسان إلى مقام آخر سام ،ولا تلاحظ أخته حجيلة ما يراه فهنا يرسخ جانب البطولة جمالا مرئيا وطاقة كامنة . وكل هذا ينخرط بجلاء في الأسطورة كما نسجها الأولين ، والنظر والرواية إذ يحافظ على اتساقه الداخلي ، فبذلك يرى القارئ أنها إعادة لأسطورة فيتحمل ذلك ويطرح بأن الجازية أسطورة [2].فهنا الراوي يضع ميثاق للقارئ وتوجيهه إلى وجهة معلومة ويضفي على الحيكة سيرورة خاصة وهنا يكون قد أعطى للجازية مظهر خارق بأن أبوها قتل بألف بندقية فهو وحده كان يعتبر جيش كامل ، حتى دفنه في حناجر الطيور [3] ، وهنا يمثل الراوي الجازية بالشخصية الكاليزمية التي تفوق بها سائر النساء ؟ وكل هذا مجرد حلم كما يحلم بها كل داع وكل فلاح وكل درويش[4] ، وكل هذا مجرد حلم كما قال عايد عندما طلب منه الأخضر الزواج منها " فجزم أن الجازية لم تخلق له " [5].

الجازية بين الخارق والطبيعي : إن بعد الجازية الخارق الذي أخفى عليها مسحة أسطورية لم يكن محكم السد بحيث أن لها بعد إنساني الذي ينازع البعد الأسطوري والتقرع الثنائي الذي أعلنت عنه الرواية منذ البداية ، وهنا يعني أن الأسطورة التي تحققت للجازية لم تغب عن التاريخ فهي تعتبر تمثالا ضخما [6] فهي تجميع لصورتين مختلفتين : صورة الجمود والبرود والثاني صورة الفن

[1] الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدروقة ، ص71

[2] الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدروقة ، ص23

[3] الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدروقة ، ص34

[4] الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدروقة ، ص153

[5] الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدروقة ، ص196

[6] الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدروقة ، ص9

السامي ، فشخصيتها مزدوجة ولها حضوران مما يعزز البعد الإنساني لها فشبيهها من البعد الأسطوري الطاغي عليها " لقد جاءت الجازية إلى الحضرة الجازية التي تشبه الحلو " [1] ، فهنا كل عناصر التشبيه متوفرة مما يأخذنا إلى الخيال وإلى مذاهب شتى ، فهنا الرواية تمنح الجازية قدرة فنية عالية وأسطورية حيث أنها تنتمي إلى البطلات ولعل قص الأساطير حكاية البطال من غير آلهة اليونان القديم أن يكون مؤيدا لطبيعة هذه الرواية التي تطاول الأساطير الأولين

الرمز الأسطوري : الرواية وهي تقدم نفسها تلح على طابع ثنائي ومنها ثنائية الأسطوري / الرمزي ، فسبقت الإشارة إلى الجازية على أنها فقدت أمها والأب إبان المقاومة فمن هذا تبين أن الرواية تاريخية لنتائج الثورة فهنا نجد أن الكل يتهافت على الجازية لمكانتها في الثورة فنلاحظ أن الكل لديه مصلحة الشامبيط ، الدراويش فهي تعتبر كبعد رمزي الذي يسعى الجميع للفوز به من أجل مصالحه ومن هنا تبين أن مستقبل القرية يبينه أبناءها الخلص و بإرادة ذاتية وبلا هدف ربحي مشبوه .

وأخيرا قد بين الناقد "**أحمد السماوي**" التحليل المتعدد للرواية فمن الجانب السردي الصراع بين الماضي والمستقبل ، الجمال ، القبح ، وتنافس الروايتين المضمن وغير المضمن ومعارضة لأسطورة وأثر قصة في التاريخ للبطولات ، والنظر للبطولات والشخصيات على أنها طبيعية خارقة وقد وجدت الرواية بعدا إنسانيا فهي لا تخلو أيضا من البعد الرمزي وأن الرواية تطرح رأيا فيما بعد الثورة .

ففكرة الصراع هي التي تحكم العلاقة بين المقاربات فلا أماكن للكلام على الأسطوري في الجازية إلا في المقابل الإنساني فيها ولا لتأويل أسطوري إلا

[1] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ، ص80

بالاستدعاء الرمزي في هذه المقاربات شانها شأن الخطاب يتناوب عليه راويان قصد تغيير الرواية ، لا التضاد ، ففكرة الصراع في الرواية سهلت استخراج الأبعاد المتعددة ، وهنا تبين أنها تتضامن ولا تتنافر .[1]

2 موقف عبد الناصر مباركية :

يرى أن الرواية الجازية والدراويش تنتمي إلى الخطاب الروائي التقليدي وذلك بتقسيم مبدأ الرواية الجزائرية إلى خطاب روائي تقليدي وخطاب روائي حديث ، كما أنها تصنف ضمن الروايات الريفية الواقعية في تجسيد حقبة زمنية تجلت فيها القيم والدفاع عن الأرض و الحرية .

1 **من حيث التراث السردي :** حيث أن التراث السردي يشكل أحد المكونات الأساسية للخطاب الروائي الحديث حيث نلتمس هذه المقومات التراثية من حيث اللغة والرموز أو القصص الشعبي وهي سمة من سمات الإبداع على أنه مازال يخضع للتراث الزاخر ، وعلى هذا الأساس فإن التراث السردي فضاء من الفضاءات الروائية تحمل رؤى جمالية وفكرية اتجاه الواقع الراهن ، ونحن لا نعدو الحقيقة إذ أن عبد الحميد بن هدروقة يوظف السردية التراثية بشكل كبير في الرواية "الجازية والدراويش" حيث وجد منهلا عذبا ومعينا خصبا تتحرك عبره الأحداث والشخصيات ومن هنا نستنتج أن التراث السردي صوت من أصوات الرواية حيث يلجأ على تصوير جماليات الريف الزاخر بالقصص والحركات الشعبية والأغاني الرعوية "فهنا لاحظ عباس إبراهيم أن رواية الجازية والدراويش عنوان مستمد من الذاكرة التراثية .

[1] الجازية والدراويش ، عبد الحميد ين هدروقة ، ص188

فالجازية هي رمز للحب والبطولة والشجاعة والشهامة وهي الأميرة العربية حيث أنها جميلة المنظر لطيفة المحضر بديعة الجمال في الحسن والكمال والقد ، وقد أضاف الروائي هذه الشخصية بملامح من الواقعية وبعض من الأسطورية يشكل البعد الواقعي والأسطوري ، فقد كانت أساطير الدشرة تمثل في السبعة والدراويش والصفصاف ثم تخرج الجازية من الطفولة لتصبح الأسطورة ، حيث تقف الجازية في علاقة تضاد مع الدراويش حيث هي رمز للثورة الوطنية والدراويش رمز على التفكير الخرافي فهنا قد بين أن الروائي تحدث عن الدراويش في المتن الحكائي والجازية في المتن الحكائي .

هي المرأة الطيبة الجميلة التي يحلم الجميع للزواج بها ، حيث يعتبر ابن هدروقة من المولوعين بتطوير هاته المفرقات التي تجعلنا نسترسل السرد الروائي لأن المفارقة تجسد من خلال التضاد والتصادم في الموقف والرؤية ، كما حاول المؤلف تطعيم وحداته السردية ببعض الجوانب الفنية الشعبية مثل رقم 7 سبعة فهو رمز لطقوسهم الدينية وهو شديد الحضور في الحكايات الخرافية والأساطير وعلى هذا الأساس يرى الناقد أن لعبة محور الذكريات كلعبة سردية لها حضور قوي في هذه الرواية .

2 -**من حيث جماليات المكان :** يعتبر هذا الناقد أن المكان جمالية من جماليات الأدب لأن المكان في التطوير ليس حيزا جامدا خال من الأبعاد والرموز

وإنما نجده ينبض بالحياة والحرارة وقد أكد الباحث الفرنسي **جاستون باشلار** [1] على أن المكان في الفن ليس مكانا هندسيا محايدا بل هو مكان عاشه الأديب كتجربة .فإذا تحدثنا عن المكان فنجد أنفسنا نتحدث عن الريف بكل أوديته وهضابه وبيوته التقليدية ومسالكه الوعرة والأماكن التي تقوم فيها الطقوس الدينية ، ونلاحظ أن هذا الريف الذي دافع عنه الشهداء بالأمس أثناء الاحتلال لا يزال يزرح تحت الشقاء والبؤس فإذا قلنا الريف في رواية الجازية والدراويش يتحول إلى أسطورة متجردة في أعماق الكاتب أو إلى امرأة جذابة فتجلت فكرة إبداعه إلى رؤية تعكس المواقف الأدبية صارخة ومنددة للوضع وقد ضل متعاطفا مع مكانية الريف في الرواية فهو يعيش كل ما هو أصيل و بسيط ويكره كل ما هو قبيح ومتسلط .

موقف الناقد عثمان بيديا في محاولة تلمس فعل تقاليد أدبية في رواية :

إن الأدب العلمي قديمه وجديده إرث مشاع بين الأدباء تحدر إليهم بطريق مباشر ، فالأديب له الحق وهو حر في اختيار ما يلاءم غرضه ضمن الشروط العلمية الإبداعية ، والتأثير والتأثر ، قانون سائد في الفكر الإنساني خاصة مع كثرة المصادر المعرفية وتنوعها . والأدب الجزائري ليس استثناء في هذا ،فهو يأثر ويتأثر وكلما كان أكثر أخذا كان أغنى تجربة .

---

[1] جماليات المكان :غاستون باشلار ،ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ،ط1 ، ص67-68 .

MIKHAIL BAKHTINE :ESIHETIQUEET THEORTEOU ROMAN TRADUIT D U RUSSE PARDARIA IVIER EDITION GALLIMARD.PAGE153.

LUCINE-GALDEN :POUR UN STRUCTURALISME GENETQUE EDITOIN GONTHIER PAGE161.

وفي هذا السياق يمكن النظر على أن رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدروقة من الروايات المتميزة ولها جوانب بارزة ومستترة لا يلغي ذات الكاتب وقدرته الفردية وجهده في البحث عن التمييز ضمن التقاليد الأدبية حيث بيّن الكاتب جغرافية المكان حيث تقع القرية في الجبال والصعود إليها صعب والطريق وعر وضيق ، وفي الطريق إليها الهاوية والعزلة وسيطرة رقم 7 عن الحياة بين الماضي والمستقبل والسجن وكذلك الجو الأسطوري السائد في الرواية والإطار المكاني لها .

خروج بن هدروقة عن الشكل الذي كان يتبعه في رواياته السابقة : ريح الجنوب ، نهاية الأمس ... وأحداث قطيعية ، نقلت في تجربته الروائية والأدب الجزائري عامة وهذا القطع الأسلوبي في تجربته إلى الواقعية السحرية على يد كتاب أمريكا اللاتينية خاصة **غاب** ريال **ماركيز** .

فكان شكل الجازية الروائي الأنسب في معالجة هذا الواقع روائيا ، ومن هنا اقترب إلى الجانب الأسطوري والسحري .

ويلاحظ أيضا الجازية والدراويش لها زمنان أول وثاني أو زمن ماضي فرديا ، وزمن عادي حاضر كما أشار الكاتب يتقاطعان ، والملاحظة الرابعة تتعلق بالرقم سبعة الذي يسيطر على الحياة في الدشرة فهو يتكرر في الرواية أكثر من أربعين مرة .

وأخبار قرية الجازية التي تحولت لأساطير عند عايد واقسم لأبيه أن يعود لها يوما وصارت هذه الجازية حلما وهو الحالم وتنشيط الشامبيط له بأن القرية ليست ملائمة له وألا يحمل معه أي شي من أمتعته لأنه لا يستطيع أن يقضي في القرية أكثر من ليلة أو ليلتين، فالجازية تحمل معنى الثبات واللازمنية لأن طفولتها مرت دون أن يعرف أحد كيف ، فلقد كانت أساطير

الدشرة تتمثل في : السبعة والدراويش ، الصفصاف ، ثم تأتي الجازية لتصبح الأسطورة الحلم ، فهي أسطورة في الآباء وجمالها يفوق كل المستويات البشرية ، وهي فتنة وقوتها ممتدة إلى أعماق الماضي و المستقبل ، فمغامراتها تجعلها تعيش في الزمن الذي لم يوجد فبهذا اللازمنية بمقدار ماهي ثابتة متغيرة ، فالجازية غامضة المنشأ فأبوها قتل بألف رصاصة وأمها ماتت في الوضيع وطفولتها غير معروفة ، وتخرج لتصبح الأسطورة الحلم ، وهي مرتبطة بالدشرة ومن يخطبها يسيطر على الدشرة فلو أخذها الشامبيط لابنه لضاع كل شيء وأصبح جهاد المجاهدين عبثا ، فلهذا كان زواجها من الطيب مسؤولية نحو الدشرة ، فالقرية علقت أمالها على الأخضر الجابلي في إنقاذها من الشامبيط .

أما الأحمر فمنشأه غير معروف ولا يعرف عنه سوى أنه طالب ، يعد رسالة لنيل ديبلوم مهندس دولة ، فهو يملك حدسا لينفذ إلى المجهول وإلى أعماق حقيقة القرية فقد علم بخفايا القرية ودخل عالم الفتيات ، فتعلقت قلوبهن به ، فكاد أن يصبح درويشا خلال مراقصته للجازية لأنه أكثر اقترابا إليها ، فقد جعل مشاعر الجازية تهتز وكان يريد أن يغرس أحلامه الحمراء فكان صاحب حلم أحمر .

فقد كان يوصف بالطالب الغريب ويحاول إقناع الناس فذكائه كان غريبا كما أعده الأخضر بن الجابلي مجنونا، وأطلق عليه الطالب المدروش ، فأخفق الأحمر بالظفر بالجازية فهو لم يعرف الطريق المؤدي لأحلامه فهو كان يسعى إلى نقل الدشرة إلى قرية أخرى من نوع آخر مع من يثق بهم ، لأنه يرى كل شيء يرحل ويحول المكان الذي تحدث عنه مرتبط بالزمان المادي ،

لا يبقى دائما قائما يصبح بعد مرور لازمن نفسيا متضمنا للمكان مخالفا للشامبيط.

فترك التقدير ليجنب القرية خطر السيد وخطر الشامبيط وهنا علاقة الأحمر انسحب إلى حد ما بالجانب الأسطوري بالدرويشة والجنون ولعق المنجل ، فهنا هذه العلاقة تشبه علاقة اليوناردو والبهاء فابن هدروقة يدخل الجازية في شبكة علاقات ، بحيث تصبح هي والدشرة قطبا الرواية ، وأيضا نجد شخصية الأخضر كان صيادا ممتازا يقول عنه القرويون أن الحجل يسقط قبل أن تنطلق الطلقة من بندقيته ، ولم يكتف بهذا بل كان صيادا للناس الذين عاشوا فسادا ، فقد قتل أربعة من رجال الجندرمة وثلاثة حراس غابات ، ومفتشا سريا غامر إلى القرية للتحقيق ... إلخ ، حيث أن بندقيته لا تفارقه ، وسقوط الشامبيط بسبب العيارين الذين أطلقهما الأخضر على الحمامتين .

فالجازية رواية ذات تميز تملك شخصيتها ،فانفتحت على التراث الإنساني والتقاليد الأدبية ، فبمقدار الأديب من جهد الاستقلال عنها فهو لا يستطيع ، وهي رواية متجادلة مع كثير من الأصناف الروائية أو غيرها وهي فاتحة طيبة لرواية جزائرية حوارية تسلك طريقها الخاص وإن هذه الدراسة تبقى ناقصة إذ لم تكمل بدراسات أخرى أو الحوار في هذه الرواية .

خاتمـــــة

خاتمة

ربما تكون هذه المذكرة قد اثارت فينا احساسات جديدة ولفتنا الى اسئلة كثيرة وربما وضعتنا الى المحجة التي ينفي (التي)سلوكها لادراك خفايا القضية الجزائرية قد تطورت الرواية الجزائرية بعد الاستقلال فقد زاد الانتاج الروائي في هذه الفترة ،فقد رسمت لنا رواية الجازية والدروايش لعبد الحميد بن هدوقة من خلال افاق فنية عديدة منها :

ان " رواية الجازية والدروايش"جاءت مختلفة عن كل الروايات التي قدمها عبد الحميد بن هدوقة اكبر(خاصة ماتعنييه)خاصة ردة فعل اتجاه ماتعانيه القرى الجزائرية الاستقلال.

رواية الجازية والدروايش يغلب عليها الطابع الشعبي وتنقل عادات،القرية الجزائرية بثقافتها وطقوصها،وتبين الطبيعة الجبلية الموحشة .

تقاتل ابطال القرية على الهدف الذي يتمنى الجميع الوصول اليه .

قيامة الرواية على ازدواج طرفا الجازية من ناحية والدراويش من ناحية اخرى.

ولقد لاحضنا ايضا ان للمكان اهمية كبيرة لاتقل عن بقية العناصر الاخرى مشكلة لهذا البناء(فالاهم).

فالاهم الجوانب التي تبين العلاقات التي تربط بين الشخصيات والاماكن(الاتصال والانفصال).

اراء النقاد حول البنية التي تبعها رواية:

فقد رأو ان البنية السودية والتراث السردي انه احد المكونات الاساسية للخطاب الروائي (اللغة والرموز).

تلعب الفضاءات المفتوحة دورا بارزا في الرواية ومن اهم الفضاءات:المدينة والقرية فقد جاءت صورة المدينة باهتة كما لو انها فقدت ارتباطها بالشخصيات بالرغم انها مكان ثقافي تاريخي وتتشكل صورة المدينة في اذهان القرويين من خلال مايرد المتطوعين خاصه،الطالب الاحمر .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

رواية الجازية والدروايش لعبد الحميد بن هدوقة دار القصبة للنشر .

المراجع باللغة العربية :

PAUL SMITH / ART / MY TH /A/APPROCHE/MNIVERSALIS/
FRANCE/S/A/1985/COYPUS 12
MIKHAIL BAKHTINE :ESTHETIQUE EECFHEORTEDU ROMAN
TRADUIT DU RUSSEPARIADLI
VIEREDITION.GALLIMARD.PAGE 153.1
LUCINE GALDEN :POUR UNSTRAVCTU RALISME
GENETQUE PAGE 161 EDITION GONTHIER

المراجع باللغة العربية :

جماليات المكان :عاستون باشلار ترجمة غالب هالسة المؤسسة الجامعية للنشر بيروتا ط1 .

الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة المؤسسة الوطنية للكتاب لسنة 1983.

من مذكرة بنية الخطاب السردي في روايات الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة

الرسائل الجامعية :

من مذكرة نبية الرواية الجزائرية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة اعداد الطالبة ابتسام كريادو.

المجلات :

مجلة الحرية ع 183 بتاريخ 1986/10/12.